# الدّلالة والمعارف الإنسانيّة

**النص[1]:**

وَنَتَنَاوَلُ في هَذَا الفصْل، عَلاقَةَ اللُّغةِ بالمجْتَمَع الإنْسَاني، وقَدْ ذَكرْنا منْ قبْل، أنّ اللُّغة نَشَاط اجْتِمَاعي، من حَيْث إنّها استِجَابة ضَرُوريَّة، لِحَاجَة الاتّصال بين النّاس جَميعا، ولِهَذا السَّبَب يَتَّصل علْمُ اللّغة اتِّصالا شَدِيدا، بالعُلُوم الاجْتِمَاعِيّة، وأصْبحَت بعْض بحُوثه تُدْرس في علم الاجتِمَاع، فنَشَأ لذلك فَرْع منه يُسمَّى: "علْم الاجْتِماع اللُّغَوي"، يُحاوِل الكشْف عنْ العلاقة بين اللُّغَة والحَيَاة الاجْتمَاعيَّة، وبين أثَر تلك الحياة الاجْتمَاعيّة في الظَّوَاهِر اللُّغويّة المخْتلفَة. وَلَكِنَّ اللّغَةَ، مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، لَهَا عَلاقَةٌ وَثِيقَةٌ بِعِلْمِ الإنْسَانِ، باعْتِبَارِهَا نِتَاجَ عَلَاقَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ، وَوَسِيلَةَ نَقْلِ الثَّقَافَةِ، التِي تُعَدُّ مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ عِلْمِ الإنْسَانِ، مَجْمُوعَةَ تَقَالِيدِ الشَّعْبِ، وَأوْجه اِسْتِعمَالاتِه لِلُغَته. وبالنظر إلى وظيفَة اللُّغة، كتَعْبير عَنْ الفِكْرِ، يُمْكِنُ اعْتِبَارُ اللُّغَة جُزْءا مِن عِلْمِ النَّفْسِ ...

وَيَذْهَب بَعْضُ العُلَمَاء إلَى أنَّ الألفَاظ، لَيْسَتْ إلَّا رُموزًا تُعَبِّرُ عَنْ المَعَاني الكَامنَةِ فِي النَّفْسِ، وَهيَ ضَرورِيَّةٌ للتَّقَدُّم العَقْلي لأنَّهَا هيَ التِي تُثْبِتُ كُلَّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا الذِّهْنِ البَشَرِي، وَهُمْ يُشَبِّهُونَ ذَلِكَ بِجَيْشٍ يَغْزُو بُقْعَة مِنْ الأرْضِ، وَيَنتَصِرُ عَلَى أهْلِهَا، وَيَنتَشِرُ فِي أرْجَائِهَا، وَلِكَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أنْ يَمْلِكهَا إلَّا حِينَ يُنْشِئُ فَوْقَهَا الحُصُونَ، التِي يَضَعُ بِهَا حَامِيَتَهُ، وُهُمْ يَرَوْنَ أنَّ الألْفَاظَ حُصُونُ الفِكْرِ، وَأنَّهُ لَا وُجُودَ لِلْفِكْرِ بِدُونِ اللُّغَةِ، وَلِذَلِكَ يَرَى هَؤُلَاءِ أنَّ عُلَمَاءَ النَّفْسِ، لَا عُلَمَاءَ الاجْتِمَاعِ، هُم الذِّينَ يَسْتَطِيعُونَ أنْ يُبَيِّنُوا لَنَا، كَيْفَ يَظَلُّ المَعْنَى حَائِرًا في الذِّهْنِ، حَتَّى يَستَقِرّ في الكَلمَة المنَاسبَة، وَحِينَئِذ يَتَحَدَّدُ المُرَادُ مِنْه، وَيُثْبِتُ وَيَتَّضِحُ ....

وَلِكِلِّ هَذَا يَرَى هَؤُلَاءِ أنَّ عُلَمَاءَ النَّفْسِ هُمُ الذِّينَ يُفَسِّرُونَ لَنَا، كَيْفَ يَنْقُلُ الإنْسَانُ فِكْرَهُ إلَى غَيْرِهِ، مُتَّخِذًا وِجْهَةَ نَظَرِ الآخَرِينَ، مُلْقِيًا مِنْ تَفْكِيرِه المُدْرَكَاتِ الشَّخْصِيَّةَ البَحْتَةَ. مُسْتَبْقِيًا المُدْرَكَاتِ العَامَّة ، التي يَفْهَمُهَا هُو ويَفْهَمُها غيْرُه .... وقَدْ لَاحَظ عُلَمَاءُ النَّفْسْ بِحَقٍّ ، أنّ مَسَائِلَ كَثيرَةً من علْمِهم تساعِد مُساعَدَة جِدّيّة،على فهْم الظواهر اللُّغويّة ، فالتّذَكّر والاسْترجاع ، والتّخيّل ، وتداعي المعاني ، والإدراك، والانتباه، والحالات الوجدانيّة المختلفة ، وغير ذلك من مسائل علم النَّفس،هي التي تُفسِّر لنا كيف يَتَعَلَّم الطِّفل اللُّغَة كَلامًا ثمّ كِتَابَةً، وكَيفَ يَصُوغُ الإنْسَانُ عِبَارَاتِهِ وَيُكَوِّن جُمَلَهُ ، لِيُعَبِّرَ عَنْ أفْكَاره ، وَكَيفَ يَفْهَم السَّامعُ مَا يَسمَع، وَيدرك القَارِئُ مَا يَقرَأ، من تلكَ الرموز الكتَابيَّة.

**تحليل النص :**

**تمهيد:**

كما هو معلوم أنّ تكامل المعارف أمر طبيعي ، وخاصّة مع اللّغة، و مع الدّلالة التي هي جوهر وأساس اللغة والإبلاغ . فالعلوم الإنسانية تشترك في اهتمامها باللغة ، بصفتها أهمّ مظاهر السلوك الإنساني ، والمعارف أساسها الإنسان ... ومن ثم فالدلالة لها علاقة وثيقة بالنحو ، وبالبلاغة، وبعلم الاجتماع، وبعلم النفس .... والدلالة أساس اللغة، وهذه الأخيرة ذات بعد اجتماعي وثقافي ونفسي ... وهذا نص لرمضان عبد التواب من كتاب« المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي » يتناول بعض هذه الأفكار.

**أهمّ أفكار النص :** يتناول النص مجموعة من الأفكار ، نجملها في الآتي :

- علاقة اللغة بالمجتمع الإنساني: فهي نَشَاط اجْتِمَاعي ، وهذا النشاط يكون في المجتمع ، لحاجة الفرد إلى الاتصال بالجماعة ، واللغة وسيلة اتّصال هامّة . ما جعل لها علاقة بالعلوم الاجتماعية .
- علاقة اللغة بعلم الاجتماع : موضوع علم الاجتماع هو الظاهرة الاجتماعية ، واللغة إحدى الظواهر الاجتماعية بامتياز ، فهي تنتج من الاحتكاك الاجتماعي. وعلم الاجتماع يدرس اللغة على أنّها من أهم مقوّمات المجتمع البشري . ونتيجة ذلك ظهر ما يسمّى "علْم الاجْتِماع اللُّغَوي" أو "علْم اللغة الاجْتِماعي"، هو علم نشأ عن العلاقة بين اللغة والمجتمع، و يُحاوِل الكشْف عنْ العلاقة بين اللُّغَة والحَيَاة الاجْتمَاعيَّة، وبين أثَر تلك الحياة الاجْتمَاعيّة في الظَّوَاهِر اللُّغويّة المخْتلفَة . لذلك قيل: " اللغة هي التوصيل داخل مجتمع"[2] . والنتيجة أنّنا لا يمكن أن نستغني أو نتجاهل بيئة اللغة .
- علاقة اللغة بِعِلْمِ الإنْسَانِ: و هو علم الأنثروبولوجيا، فاللغة نِتَاجَ عَلَاقَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ، وَوَسِيلَةَ نَقْلِ الثَّقَافَةِ، التِي تُعَدُّ مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ عِلْمِ الإنْسَانِ، مَجْمُوعَةَ تَقَالِيد الشَّعْبِ، وَأوْجه اِسْتِعمَالاتِه لِلُغَته. و يتفرّع هذا العلم إلى علم الإنسان الاجتماعي، علم الإنسان الثقافي، علم الأنثروبولوجيا اللغوية ... وكل الفروع لها علاقة وثيقة باللغة.
- علاقة اللغة بِعِلْم النفس: اللُّغة تَعْبير عَنْ الفِكْرِ وعن النفس؛ تَدْخل فيها نفسيّة المخاطب والمتلقّي. والألفَاظ رُموز تُعَبِّرُ عَنْ المَعَاني الكَامنَةِ فِي النَّفْسِ ... ومن ثمّ يُمْكِنُ اعْتِبَارُ اللُّغَة جُزْءا مِن عِلْمِ النَّفْسِ ... يدرس علم النفس اللغة

---

[1] ـ رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط3، 1997، ص125وما بعدها.

[2] ـ عبد الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العربية ،بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص69 .

وعلاقتها بالعقل والنفس الإنسانيين . ونتج عنه ظهور فرع يسمّى «علم اللغة النفسي» أو «علم النفس اللغوي»، وهو فرع يهتم بالأمور التي تتناول العلاقة بين اللغة والعقل الإنساني مثل : اكتساب اللغة ، إدراك الكلام طبيعة العلاقة بين اللغة والتفكير وعلاقة اللغة بالشخصية ودراسة عيوب الكلام ... و الكثير من المَسَائِل من علْم النفس تساعِد علماء النفس على فهْم الظواهر اللُّغويّة، مثل: التّذكّر والاسْترجاع ، والتّخيّل ، وتداعي المعاني ، والإدراك، والانتباه .... من المؤلفات في هذا المجال: «علم اللغة النفسي» لعبد المجيد سيد أحمد منصور ، «محاضرات في علم النفس اللغوي» لحنفي بن عيسى ...

• والخلاصة أنّ اللغة محور هذه العلوم، واللغويون ليسوا الوحيدين الذين يهتمون باللغة ودراستها ، بل تشاركهم في هذا الاهتمام تخصّصات أخرى كعلم الاجتماع وعلم والنفس وغيرها . هذه العلوم تمدّ العون لعلم اللغة في تفسيره لكثير من الظواهر اللغوية .

## الدلالة ونظرية التلقي

**النّص[1]:**

وهذا كتاب موعظة وتعريف وتفقّه وتنبيه. وأراك قد عبته قبل أنْ تقف على حدوده، وتتَفكّر في فصوله، وتعتبر آخره بأوّله، ومصادره بموارده، وقد غلّطك فيه بعضُ ما رأيتَ في أثنائه من مزح لا تعرف معناه، ومن بطالة لم تطّلع على غورها؛ ولم تدْرِ لِمَ اجتلبت، ولا لأيّ علّة تكلّفت، وأيّ شيء أريد بها، ولأيّ جدّ احتمل ذلك الهزل، ولأيّ رياضة تجشّمت تلك البطالة؛ ولم تدر أنّ المزاح جدّ إذا اجتلب ليكون علّة للجدّ، وأنّ البطالة وقار ورزانة، إذا تكلّفت لتلك العافية. ولمّا قال الخليل بن أحمد: لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه. حتّى يتعلّم ما لا يحتاج إليه، قال أبو شمر: إذا كان لا يتوصّل إلى ما يحتاج إليه إلّا بما لا يحتاج إليه، فقد صار ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه . وذلك مثل كتابنا هذا؛ لأنّه إن حملنا جميع من يتكلّف قراءة هذا الكتاب على مرّ الحق، وصعوبة الجدّ، وثقل المؤونة، وحلية الوقار، لم يصبر عليه مع طوله إلّا من تجرّد للعلم، وفهم معناه، وذاق من ثمرته، واستشعر قلبه من عزّه، ونال سروره على حسب ما يورث الطول من الكدّ، والكثرة من السآمة.....

[1] ـ الجاحظ ، الحيوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 1424، 1/31 ، 58 ، 59 .

والكِتَابُ قدْ يَفْضُلُ صاحِبَهُ، ويتَقدُّم مُؤلِّفه، ويـرَجِّح قلَمَـه على لسـانه بـأمور: منهـا أنّ الكتـاب يقـرأ بكـلّ مكـان، ويظهر ما فيه على كلّ لسان، ويوجد مع كلّ زمان، على تفاوت ما بين الأعصار، وتباعد ما بين الأمصار، وذلك أمْر يستحيل في واضِع الكتاب، والمنازع في المسألة والجواب. ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان مجْلسَ صـاحِبِه، ومبْلـغ صوْتِه. وقدْ يذْهب الحكيم وتبقى كتُبُه، ويذهب العقْلُ ويبْقى أثَرُه. ولـوْلا مـا أوْدَعَتْ لنـا الأوائـلُ في كُتبِهـا، وخلَّدتْ من عجيب حكْمتها، ودوَّنَت من أنْواع سِيرها، حتّى شاهدنا بها ما غاب عنّا، وفتحْنا بهـا كـلَّ مسْـتغْلق كـان علينـا، فجمَعْنـا إلى قليلنا كثيرهم، وأدركنا ما لمْ نكن نُدْركه إلّا بِهِم، لَمَا حَسـن حظّنـا من الحكمـة، ولضَـعُف سَـببُنا إلى المعرفـة. ولـو لجأنا إلى قدْر قوّتنا، ومبْلغ خواطرنا، ومنتهى تجاربنا لما تُدْركـه حواسّـنا، وتشـاهِدُه نُفوسُـنا، لقلّت المعرفـة، وسـقطت الهِمّة، وارْتفعَت العزيمة، وعاد الرأي عقيما، والخاطر فاسدا، ولكَلّ الحدّ وتبلّد العقل.

**تحليل النص :**

**• تمهيد:**

هذا النص للجاحظ من كتابه (الحيوان) **الذي** يقول عنه محقّقه محمد باسل:" الكتاب يتضمّن علوما ومعارف أكبر من العنوان ... كل هذه الأنواع من العلوم كانت تتخللها الفكاهة التي بثها الجاحظ بين الفينة والأخرى، مما جعل كتابه بغية كل قارئ، فإن أراد الشعر وجده من أغنى الكتب الحافلة بالشعر، وإن أراد معرفة معلومات دقيقة عن البشر أو أحد الحيوانات وجد ضالته في تضاعيف هذا الكتاب.وإن أراد الاطلاع على ما قالته العرب من أمثال وجد الكمّ الوافر منها، وإن حثته نفسه على مطالعة فكاهة وجدها مبثوثة في صفحات متعددة من هذا الكتاب الضخم، وهذا ما يجعل كتاب الحيوان مجموعة كتب ضمها كتاب واحد"[1].

إذا كان رواد نظرية التلقي قد حوّلوا الاهتمام من المؤلف إلى المتلقي، فإنّ الجاحظ قد عمل جاهداً لإيجاد هذا المتلقي، وإرضائه، ومن ثم إقامة علاقة صداقة معه. فخرج بذلك من دنيا السّمع والسامعين،إلى دنيا القراءة والقراء ـــ وإنْ كان بمفهومها البسيط ـــ ، وهو في كل ما كتب وضع القارئ نصب عينيه وجعله منطلقا وغاية ، وأظهر اهتماما به لم يكن موجودا من قبل ،لأن الاهتمام كان منصبا على السامع . وفكرة القارئ مدينة ، على الخصوص للجاحظ ، لا يكاد ينافسه فيها أحد .

**• أهمّ أفكار النص :**

• اعترف الجاحظ بأهميّة النص المقروء ، ودور المتلقي في التفاعل معه . فقد حرص كلّ الحرص على حض معاصريه على القراءة من خلال تركيزه على أهميّة الكتاب ، وضرورة اقتناء الكتب . فالنص غنيّ بدلالاته على فضل القراءة والقراء . والحديث الشفهي عرضي لا يتجاوز تأثيره صاحبه . وهو منغلق محدود برؤية صاحبه . أما النص المكتوب فهو شمولي منفتح على العالم الموسع وتأثيره باق على مر العصور . فالجمهور المتلقي الذي يقرأ هذا النص لا حدود في زمان أو مكان ، ويستطيع القارئ أن يقرأ النص، بعيدا عن نية صاحبه الذي لم يعد موجودا . فكل قارئ يتناول النص من خلال ثقافته وتجربته الخاصة ، ومن خلال هموم مجتمعه وقيم عصره ، وهذا يعني أنّ النص المكتوب يكون له من التأويلات والتفسيرات بعدد قرائه .

كما رأى ضرورة توظيف المزاح والمرح، في الكتاب، وكلّ ما يُذهِب السآمة على القارئ ، وأن يكون الكتاب متنوّعا، حتى لا يملّ هذا القارئ ولا يسأم، ولا تثقل عليه القراءة .

• تضمّن النص فكريتين محوريتين، وكلّ فكرة تتناول مجموعة من الأفكار :

**الفكرة الأولى:** الرّد علة من عاب الكتاب ، وتتضمّن :

• وصف كتابه بأنّه موعظة وتعريف وتفقّه وتنبيه .
• مخاطبة مَنْ عاب الكتاب، قبل التمعّن في جوهره، والوقوف على حقيقته وغاياته .
• المزاح جدّ ، والبطالة وقار ورزانة، إذا كانت لغاية وهدف .
• طول الحق والجدّ وانعدام الهزل، يُثقل القارئ، ويورث الكدّ، و السآمة.

**الفكرة الثانية:** مقارنة بين الكِتاب واللسان (المؤلّف) ، وتتضمّن:

• الكِتَابُ يَفْضُلُ صاحِبَهُ .
• فضل كُتُب وتدوين القدماء علينا.

[1] - الحيوان ، 1 / 4 ، 5 .

## الدّلالة ونظريّة القراءة

**النص[1]:**

إنّ الجهد الذي يبذله الكاتب أو الشاعر في إبداع النص الأدبي هو وعي وكدّ ومعاناة، ولكن الأمر الذي شغل الدارسين هو مقدار الجهد الذي ينبغي على المتلقي بذله ليتمكّن من فهْم النص واستيعابه ولا سيما أنّ " المعنى لا يحصُل لك إلا بعد انبعاثٍ منك في طلبه، واجتهادٍ في نيله"[2]. وقد يعني هذا امتزاجا بين الخبرة المعرفية وقوّة الفكر ونشاط العقل . وعلى هذا النحو فإنّ المتلقي ليس كائنا سلبيا تُلقى على ذهنه النصوص فيتقبّلها و يستجيب لها دون أدنى إدراك واع لمقاصدها . وما وعاه عبد القاهر الجرجاني يعدّ سبقا في نظرية القراءة والتلقي عند العرب، وتقدّما في تصور ما يمكن أنْ يكون عليه التفاعل بين النص والقارئ، بل أنّ إيراد لفظ «اجتهاد» يضع القارئ أمام عالم من الحريّة الفكريّة في فهْم النص ، فالتلقي اجتهاد ، وهذا يعني أنّ لا قراءة واحدة للنص ما دام القارئ مجتهدا. إذ قلّما تتطابق الاجتهادات في تحليل النصوص وفهْمها أو هي لا تتطابق أصلا وقد تتقارب، لكن الاجتهاد ليس مطلقا إنما مقيّد، أي أنّ الذي يجتهد في قراءة النصوص الأدبية له مرجعية خاصة،هي المرجعية اللغوية. لذا فإنّ الجرجاني وفي موضع آخر يقول وكأنه يُقصر فهْم النص على من تتوفّر فيهم شروط معيّنة إذ يقول:« فإنك تعلم على كل حالٍ أن هذا الضرب من المعاني، كالجوهر في الصَدَف لا يبرز لكَ إلاّ أن تشُقّه عنه، وكالعزيز المُحْتجب لا يُريك وجهه حتى تستأذِن عليه، ثم ما كلُ فكر يهتدي إلى وجهِ الكَشْفِ عمَّا اشتمل عليه، ولا كُلّ خاطر يؤذَن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شقّ الصَدَفة، ويكون في ذلك من أهل المعرفة، كما ليس كلٌّ من دنا من أبواب الملوك، فُتحت له»[3].

**تحليل النص:**

- **تمهيد :**

القراءة باعتبارها عمليّة تأويليّة تسعى إلى مقاربة النّص ، تخضع لطبيعة القارئ الذي يقوم بهذه القراءة ، حيث تتحكّم في تعامله مع النّص مجموعة من العوامل التي يتحدّد من خلالها فهْمُه للنّص . ومن ثمّ فإذا كان مبدع النّص

---

[1] ـ محمد المبارك ، **استقبال النص عند العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1، 1999، ص36 ،37 .**

[2] ـ عبد لقاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، **تحقيق وتعليق: حمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة** ، ص 145.

[3] ـ المرجع نفســه ، ص 141.

الأدبي؛ كاتبا كان أم شاعرا ، يبذل جهدا وكدّا ومعاناة ، فإنّ الذي شغل الدارسين هو مقدار الجهد الذي ينبغي على المتلقي بذله ليتمكّن من فهْم النص .

• **أهمّ أفكار النص :**

• المعنى لا يحصل للمتلقي بسهولة، وإنّما يحتاج إلى إلحاح في طلبه واجتهاد لنيله.لأنّ المعنى أمر يصعب التّحكم فيه وضبطه.

وهو ما نبّه إليه عبد القاهر الجرجاني . وهو ما يتطلّب الخبرة المعرفيّة وقوّة الفكر ونشاط العقل .

• المتلقي عنصر فعّال في النّص وتأويل معانيه ورسم معالمه، وليس سلبيّا يتلقى النصوص ويتقبّلها دون وعي.

• ورأى صاحب النّص أنّ عبد القاهر الجرجاني وَعَى فكرة التّفاعل بين النص والقارئ ، ومن ثم فهو يعدّ سبقا في نظرية القراءة والتلقي عند العرب .

• التلقّي اجتهاد يضع القارئ أمام عالم من الحريّة الفكريّة في فهْم النص، ما ينتج عنه وجود عدّة قراءات للنص ، لا قراءة واحدة ، لأن لكلّ قارئ اجتهاداته ، والاجتهادات قد تتقارب في تحليل النصوص، لكنها لا تتطابق .

• فإذا كان التلقّي اجتهاد ، فإنّ هذا الاجتهاد مقيّد، وليس مطلقا ، أي أنه مبني على أسس ، والذي يجتهد في قراءة النصوص الأدبية له مرجعية خاصة ، هي المرجعية اللغوية . بمعنى أنّ النّص لا يفهمه إلا مَن توفّرت فيه شروط الفهم .

• وقد عبّر الجرجاني عن فكرة الشروط التي يجب أن تتوفر في القارئ لِفهم النّص، وأنّ هذا المعنى لا يظهر إلّا لمن أحسن الكشف عنه ولمن توفّرت فيه شروط الفهم . لذلك فقد شبّه المعاني بالجوهر المختفي داخل الصدف لا يبرز إلاّ بعد أنْ يُشقّ عنه، وبالعزيز المُحْتجب الذي لا يُرى له وجه إلا بعد الاستئذان ... فليس كلّ من دنا من أبواب الملوك، فُتحت له . وهي أمثلة من الواقع قدّمها الجرجاني، وحاول بها تقريب الصورة .

والحقيقة أنّ الشروط تتمثّل في :

• الميول والرغبات .

•الخبرة في التعامل مع النصوص، وعبر الممارسة التي تكسبه القدرة على استنطاق النص وسبر أغواره.

• ثقافة قارئ النص . التي تتمثل في معرفته بالجنس الأدبي الذي يقاربه واستيعابه للمنهج الذي يقارب من خلاله النص .

والنتيجة أن النص الواحد يصبح قابلا لتعدد القراءات التي قد يمنح كل منها النص معنى مختلفا عن قراءة أخرى . وهكذا تتعدّد القراءة بتعدّد القراء وتباين مرجعياتهم المعرفية والثقافية والفلسفية والنفسية والأنثروبولوجية ... وهو مخزون تراكمي وثراء يمدّ الناقد بمجموعة من الآليات النقديّة وتسمح للنص بالتمدّد . والاختلاف والتباين من طبيعة البشر ، وذلك لاختلاف العقائد والمناهج والمواقف الثقافية والمرجعيات المذهبية والدينية وغيرها .

## الدّلالة والتّداوليّة

**النص[1]:**

ومن التفريقات المقترحة بين علم الدلالة ، وعلم التخاطب أنّ الأول يدرس المعنى ، والثاني يدرس الاستعمال ، وهو تفريق شبيه بتفريق علماء أصول الفقه المسلمين ، بين علم الوضع والاستعمال، فكلّ من الوضع والدلالة يدرس المعنى بمعزل عن السياق ، وكل من الاستعمال والتخاطب يدرس اللغة في سياقاتها الفعلية . غير أنّ الفرق بين دراسات الغربيين ، وعلماء التراث هو أنّ الدلالة والتخاطب أصبحا علمين متميّزين في اللسانيات الحديثة ، في حين أنّ الوضع فقط هو الذي استقل علما من العلوم اللغوية في التراث العربي والإسلامي ، أما الاستعمال فلم يأخذ طابع العلم المستقل حتى الآن ، وإن كانت هناك محاولة لصوغ أصوله ، ونظرياته ومناهجه في كتاب «علم التخاطب الإسلامي» Medieval Islamic Pragmatics.

ويتصل الفرق بين علم الدلالة، وعلم التخاطب بالفرق بين الجملة والقولة ، وهو فرق ناشئ عن التمييز بين اللغة والكلام، فبينما تنتمي الجملة ( التي هي كيانات لغوية مجردة) إلى اللغة ، تنتمي القولات (التي هي تجليات فعلية وتحققات وتجسدات عملية للجمل) إلى الكلام . ولعلّ من نافلة القول هنا أن نشير إلى أنّ معاني الجمل هي موضوع علم الدلالة في حين أنّ معاني القولات هي موضوع علم التخاطب .

ثم إن الفرق بين المعاني اللغوية ، ومقاصد المتكلمين (أو مراداتهم) وثيق الصلة بالفرق بين علم الدلالة، وعلم التخاطب. فالمعاني اللغوية ( التي هي معان وضعية تفهم من مفردات اللغة، وتراكيبها)، تنضوي في إطار اهتمامات علم الدلالة ؛ لأن استنباطها لا يحتاج إلى عناصر خارج البنى اللغوية ، أما مقاصد المتكلمين فلا يمكن التوصل إليها إلا بمعرفة السياقات التي قيل فيها الكلام ، ومعرفة المخاطِب والمخاطَب ، وإعمال القدرات الاستنتاجية التي يمتلكها المخاطب عند التعامل مع الكلام.

**تحليل النص :**

كما هو معلوم أنّ علم الدلالة له علاقة بالمعارف الإنسانية ، وهو المحور الذي دارت حوله الكثير من العلوم، لأنه يدرس المعنى ، وهذا الأخير غاية كل العلوم ، وهو جوهر اللغة ، وأساس التواصل . فعلم الدلالة هو مستوى من مستويات اللغة

موضوعه المعنى، والتّداوليّة تهتمّ بدراسة اللغة الإنسانيّة في الاستعمال، وتبحث في الدّلالات التي تفيدها اللغة في الاستعمال. والنّص الآتي يتناول العلاقة بين علم الدلالة والتداولية .

**أهمّ أفكار النص:** هذا النص مقتطف من كتاب « مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب »لمحمد يونس علي، وقد أطلق على التّداوليّة اسم « علم التّخاطب ». وموضوع النص هو الفرق بين علم الدلالة والتداولية ؛ بيّن فيه صاحبه مجموعة من الفوارق بين علمي؛ الدّلالة التّداوليّة .وهذه التفريقات نجملها في الآتي:

- علم الدلالة يدرس المعنى ، وعلم التخاطب يدرس الاستعمال . وهذا التفريق يشبه تفريق علماء أصول الفقه المسلمين ، بين علم الوضع والاستعمال.
- الوضع والدلالة يدرسان المعنى بمعزل عن السياق ، و الاستعمال والتخاطب يدرس اللغة في سياقاتها الفعلية .
- الدلالة والتخاطب أصبحا علمين متميّزين في اللسانيات الحديثة (عند الغربيين)، في حين أنّ الوضع فقط هو الذي استقل علما من العلوم اللغوية في التراث العربي والإسلامي ، أما الاستعمال فلم يأخذ طابع العلم المستقل حتى الآن .

[1] - محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1، 2004 ، ص 14، 15.

• الفرق بينهما يتصل بالفرق بين الجملة والقولة ، أساسه التمييز بين اللغة والكلام؛لأنّ الجملة هي كيانات لغوية مجردة، تنتمي إلى اللغة ، والقولات هي تجليات فعلية وتحققات وتجسدات عملية للجمل، تنتمي إلى الكلام . ومن ثمّ فمعاني الجمل هي موضوع علم الدلالة ،و معاني القولات هي موضوع علم التخاطب .
• علم الدلالة من اهتماماته المعاني اللغوية ،وعلم التخاطب من اهتماماته مقاصد المتكلمين (أو مراداتهم).
**الخلاصة:** علم الدلالة هي دراسة جانب المعنى من اللغة، والتداولية هي استعمال اللغة بدل دراسة اللغة . وأحوال الاستعمال و المخاطبين وأغراض المتكلمين والأثر الذي تتركه رسالة المتكلم في نفسية المتلقي.

## الدّلالة والإعجاز اللغوي

**النص[1]:**

وقد يقع الانفتاح الدّلالي في المستوى الصّرفي ، أي في أبنية الكلِم ، ومن بواعث ذلك «تناوب الصيغ»، والحقّ أن هذه الظاهرة لها حضورها في العربية ، ومن ذلك قيام «مفعول» مقام المصدر ، وقيام «فاعل» مقام المصدر ، وقيام «فعيل» مقام «فاعل ومفعول ومُفعل» ، وقيام «أفعل» مقام «فعيل» وفعل» مقام «مفعول» ، ومن أمثلة ذلك في التنزيل العزيز قوله ـــ جلّ ـــ **(لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ).**

لما عرّج المفسّرون واللغويون على هذه الآية الشريفة تردّدوا بين معنيَيْن مركوزين في الصيغة «عاصم»؛ أوّلهما أنها على ماهي عليه من كونها اسمَ «فاعل: عاصم» ، والمعنى: لا أحدَ يَعْصِمُك اليَوم من أمر الله ، وثانيهما أنّ هذه الصيغة تنتسب إلى ظاهرة تناوب الصيغ ، فهي اسم مفعول جاء بحُلّة اسم الفاعل: «عاصم معصوم»، والمعنى: لا أحدَ معصوم من أمر الله، وهذا وجه لا يُدفع ، فنحن نقول: الطاعم الكاسي والمعنى المطعوم المكْسوّ ، ووجه الإعجاز في هذا السياق الشريف ملحوظان ، أولهما: أنّ صيغةً واحدة قامت مقام صيغتين فاشتملت على معنيين ، وثانيهما أنّ المعنى في محصّلته النّهائيّة واحد ، فالله العزيز يريد أن ينفي هذا الأمر بكلّيته، فلا أحد معصوم من أمر الله إلا مَن رحم الله ، ولا أحد عاصم من أمر الله ، ذلك أنّ العذاب قد حقّ بهم، وبقي ابنُ النبي نوح ـــ عليه السلام ـــ مِمّن ظلّوا في طغيانهم يعمهون متكبّرين جاحدين ، وهو يظنّ أنه سيأوي إلى جبل يعصمه من أمر الله، ولكن هيئات هيئات ، لا عاصم ولا معصوم من أمر الله ذلك .

ومن مثل ما تقدّم قوله تعالى (لا تسمع فيها لاغية)، وانفتاح الدلالة ههنا آت من معنى الصيغة الصرفية: « لاغية: فاعلة » ، فقدْ يكون بمعنى المصدر " اللّغو"، و"اللّغا ، فالصفة تقوم مقام المصدر ، وقد يكون: لا تسمع فيها جماعة لاغية، أو كلمة لاغية ، أو قائلة لغوا . وقد ذكر القرطبي أنّ فيها ستةَ أوجهٍ ، أوّلها : لاغية: كذب وبهتان وكفر، وهذا مذهب ابن عباس ، وثانيها: باطل ولا إثم ، وهذا مذهب قتادة ، وثالثها: الشتم ، وهذا قاله مجاهد ، ورابعها: المعصية وهو للحسن ، وخامسها : لا يسمع فيها حالف يحلف كذبا ، قاله الفراء ، وسادسها: لا يُسمع في كلامه كلمةٌ بلغو ، وهو للفراء أيضا . ولا شيء يدفع هذه المعاني ، ووجه الإعجاز هو انفتاح دلالة «لاغية » ، وكل المعاني التي تلتقي عليها تجتمع لتؤذن بنفي اللغو بكليته .

ومن أمثلة اشتمال صيغة صرفيّة واحدة على معان صرفية متباينة كلمة «موعد» في قوله ـــ تبارك ـــ **(فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ)** طه: 58 ، 59 . والمعلوم أنّ صيغة «مفعل» قد تكون اسمَ زمان أو اسم مكان أو مصدرا ميميّا، والقرآن يُصدّق بعضه بعضا ، فقدْ وردت «موعد» في غير هذا السياق الشريف وهي دالة على مثل ما تقدّم ، ومن ذلك دلالتها على الزمان في قوله ـــ تبارك ـــ **(إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ)** هود 81. ودلالتها على المكان في قوله ـــ تعالى ـــ **(وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ )**الحجر: 43. وقد احتملت كلمة موعد هذه الوجوه الثلاثة، وقد تنبّه إلى هذا الملحظ ابنُ هشام ، فوقف عندها مشيرا إلى أنّ هذه الصيغة حمّالة لثلاثة معان ؛ أولها : المصدر ، ويعضد هذا المعنى قوله ـ تعالى ـــ في الآية ( **لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ)** طه 58 : أي لا نخلف الموعد الوعد ، وثانيها :اسم الزمان ، ويعضد هذا المعنى الصرفي قوله تعالى في الآية التي تليها **(قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ )**طه: 59. وثالث هذه المعاني اسم المكان ، ويعضد هذا قوله ـــ تعالى ـــ ( **مَكَانًا سُوًى** )طه: 58 . وهكذا يظهر أنّ ثمّة انفتاحا في دلالة الكلمة «موعد» . ومردّ ذلك أن الصيغةَ " مفعل" تحتمل معانيَ صرفية متباينة، وليس يخفى أنّ الله لم يَخصْ معنى دون معنى، وعلّة ذلك التشديد على عقد الموعد، وتأكيده في زمانه ومكانه وحدوثه، "المصدر" فهو الذي لا يُخلِف وعدَه رسُلَه ، وقد رجّح القرطبي ـــ مع تعريجه على احتمالها ثلاثةَ معانٍ ـــ المصدرية "الوعد" ، واكتفى الطبرسيّ بدلالتها على المكان ، ومكانا في الآية الشريفة بدلٌ منصوب من " موعدا".

**تحليل النص:**

[1] ـ مهدي أسعد عرار ، انفتاح الدلالة في النص القرآني الشريف (في المستوى الصرفي).

القرآن الكريم كتاب معجز في ألفاظه ومعانيه وأساليبه، وفي كلّ المستويات؛ الصوتي، والصرفي والتركيبي ، وغيرها ، أعجز به العرب وأفْحمهم . ومن بينها الانفتاح الدّلالي في المستوى الصّرفي ، حيث أنّ الصيغة الواحدة تحتمل دلالات متعدّدة ، وكلها تصلح للآية وسياقها . وهذه أهمّ أفكاره :

• «تناوب الصيغ»: ظاهرة لها حضورها في العربية، أي قيام صيغة مكان صيغة أخرى ، مثل: قيام «مفعول» مقام المصدر ، وقيام «فاعل» مقام المصدر ، وقيام «فعيل» مقام «فاعل ومفعول ومُفعل»، وقيام «أفعل» مقام «فعيل» وفعل» مقام «مفعول» .
• وهو استغلّه القرآن الكريم فتميّزت أبنيته بالانفتاح الدّلالي في المستوى الصّرفي .ومن أمثلة ذلك :

**أولا:**

**(لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ).** الصيغة «عاصم» ، لها معنيان :

ـــــ اسمَ «فاعل: عاصم» ، والمعنى: لا أحدَ يَعْصِمُك اليَوم من أمر الله .

ـــــ اسم مفعول جاء بحُلّة اسم الفاعل: «عاصم معصوم»، والمعنى: لا أحدَ معصوم من أمر الله.

ووجه الإعجاز في هذا السياق هو أنّ صيغةً واحدة قامت مقام صيغتين فاشتملت على معنيين ، وثانيهما أنّ المعنى في محصّلته النّهائيّة واحد . فلا أحد معصوم من أمر الله إلا مَن رحم الله ، ولا أحد عاصم من أمر الله ، ذلك أنّ العذاب قد حقّ بهم. فلا عاصم ولا معصوم من أمر الله .

**ثانيا:**

**(فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ)** طه: 58 ، 59 . «مفعل» قد تكون:

ـــــ اسمَ زمان ، مثل : **(إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ)** هود 81. ويعضد هذا المعنى الصرفي قوله تعالى في الآية التي تليها **(قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ )**طه: 59.

ـــــ اسم مكان ، مثل: **(وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ )**الحجر: 43. ويعضد هذا قوله ـــــ تعالى ـــــ **( مَكَانًا سُوًى )**طه: 58 .

ـــــ مصدرا ميميّا: ويعضد هذا المعنى قوله ــ تعالى ـــــ في الآية **( لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ)** طه 58 : أي لا نخلف الموعد الوعد .

وهكذا يظهر أنّ ثمّة انفتاحا في دلالة الكلمة «موعد» . ومردّ ذلك أن الصيغةَ " مفعل" تحتمل معانيَ صرفية متباينة، وليس يخفى أنّ الله لم يَخصْ معنى دون معنى ، وعلّة ذلك التشديد على عقد الموعد ، وتأكيده في زمانه ومكانه وحدوثه.

• وهكذا كلّ مفسّر يرجّح معنى من المعاني ، وهو صائب فيه ، لكنه غير كاف ، لأن بقيّة المعاني هي الأخرى صحيحة محتملة .